مفاخر زنجي

بوكير ت . واشنطن

بوكير . ت . واشنطن
تمثاله في توسكيجيه

لمؤلفة نعمت سعيد

على أراضي جامعة « توسكيجيه » في الاباما ، وهي ولاية من جنوب الولايات المتحدة ، يقوم تمثال مهدي لمؤسسها ، المربي الأسود الكبير « بوكير . ت . واشنطن » وقد كتب على قاعدة النصب الكلمات الآتية : « لقد انتزع عشاوة الجهل ، التي كانت تحجب الرجال من بني جنسه ، وأرشدهم إلى طريق التقدم ، بوساطة التهذيب والعمل . »

إنه قد أوعز الى السود ، برفع رؤوسهم .. وعلّمهم أنهم بقوة العزيمة ، يستطيعون تقويض دعائم عبوديتهم الاقتصادية ، ويستحقون احترام ومعاونة جيرانهم البيض .

ولد بوكير في ٥ أبريل من عام ١٨٥٦ بفرجينيا ، ولاية الشمال . في كوخ متواضع . وقد ظل الصبي بوكير خلال سنين عدة ، وهو يقنع بكسرة من الخبز ، أو شريحة من اللحم . . وهذا كل مايمكن أن يصيبه في يومه من غذاء . . أما ماعلك من ثياب ، فليس غير قميص وسروال . ولم يكن قد سمع أن رجلاً أسود ، يعرف القراءة أو الكتابة .

وفي التاسعة من عمره ، انتهت الحرب الانفصالية بالغاء الرقيق . ولكن حظ السود لم يكن ليتحسن . . لأن تحريرهم كان يجلب مسئوليات جديدة عليهم أن يتعلموها . ولم يكن البيض على استعداد لأن يعلّموا عبيدهم القدماء .

وارتحلت أم بوكير بأولادها الى فرجينيا الغربية ، احدى ولايات الشمال وقد قطعت في رحلتها هذه ، الجانب الأكبر سيراً على الأقدام ، وهناك عمل بوكير ، في مناجم الفحم . . واشتغل حطاباً ، ثم اشتغل في فلاحة الأرض . . وكان في أثناء الليل ، يحضر درساً ابتدائياً خاصاً بالأطفال الملونين ، وفي يوم سأله مدرسه عن اسمه ، فأجاب الصبي في تفاخر ، انه يدعى واشنطن ، كأول رئيس أمريكي . وسيكون كسميه ، أباً لشعبه .

ويسمع من مال المناجم ، أن مدرسة للسود ، قامت في هامبون بفرجينيا . فيعزم الالتحاق بها . وبفضل ما اقتصد من ماء سنثيل ، قطع الثاني مائة كيلومتر ، التي تفصله عن المدرسة . وفي نظير المصروفات ، قام بوظيفة بواب زحام المائدة . كما تعلم البناء . وبمجرد أن نال شهادته طلب اليه عمدة المدرسة أن يدرّس عندهم

وفي توسكيجيه بالاباما ، كان هناك تاجر من البيض يسمى جورج كامبل له صديق أسود اسمه « لويس أدامز » من العمال المبرزين ، وخطر لهذين الرجلين ، أن يؤسسا مدرسة صناعية للسود ، وبوساطة صديق لهما في مجلس النواب الحلي ، حصل كامبل ، على اعانة قدرها ٢٠٠٠ من الدولارات ، وصار يبحث عن رجل يدير تلك المدرسة ، فترشده مدرسة هامتون إلى بوكير . وأتى بوكير إلى توسكيجيه ، وبحث عن المدرسة . فقيل له : — المدرسة ؟ انها لم توجد بعد .

لم يضطرب بوكير ت. واشنطن ، وأذاع انه سوف ينشىء بنفسه تلك المدرسة ، وإلى أن ينفذ مشروعه ، سمح له أن يفتتح المدرسة ، في كنيسة مخصصة للسود . وشرع في إنقاذ الأصدقاء ، واجتذاب الشبان السود إلى توسكيجيه . عرف واشنطن تلاميذه ، أن التكوين الثقافي لا يكتمل إلا بمصاحبة التعليم العملي .

كان افتتاح مدرسة توسكيجيه الفنية في ٤ يوليه عام ١٨٨١ . وحضر هذا الحفل ثلاثون شخصاً كان حضورهم على الأخص ، من أجل زراعة القطن في الجهة المجاورة . وكانت سقف الكنيسة في حالة سيئة ، بحيث انه في أيام المطر ، يضطر الطلبة أن يحتموا في مظلاتهم . وبعد قليل اقترض واشنطن ، من بعض أصدقائه في هامبتون ، خمسة آلاف دولار ، ليشتري مزرعة قديمة من المدينة ، يشيد عليها « قاعة مورتر » أولى عماراته .

وصدم بوكير بأوهام عنيدة ، فقد قال البيض من أهل الجنوب : « إنك لو علّمت رجلاً أسود ، جعلت منه انساناً كسولاً » أما المتحررون الجدد ، فقد اقتنعوا أن التعليم لا غاية له ، إلا أن يهيىء انساناً لحياة الفراغ الخالية من أعمال الكدح وذات يوم أقبل وفد من السود ، ليحتجوا على ادماج الأعمال اليدوية في برنامج الجامعة . وقال واشنطن : — إن الاشتغال بفلاحة الأرض لا يقل شرفاً عن كتابة القصائد ، أما البنات فيجب أن يتعلمن اعداد المائدة وإدارة البيت . فهذا لا يقل شأناً عن قراءة اللاتينية .

كان واشنطن ، يبشر لمشروعه في صبر وجلد ، ويردد في الحاح : — يجب أن